الباب الثاني

ترجمة الشيخ محمد علي الصابوني

أ. المبحث الأول : حياة الشيخ محمد علي الصابوني

هو الشيخ محمد علي الصابوني، ولد بمدينة حلب الشهباء بسوريا عام (1930م)، تربي الشيخ في بيت علم ودين، وفي أسرة عريقة بالعلم، فوالده من علماء حلب الشهباء، وكان قيم الجامع الأموي (الجامع الكبير) في مدينة حلب الشهباء، ومسؤول التدريس والوعظ فيه، وهذا أمر أثر كثيرٌ على الصابوني من صغره.[1]

وقد ابتدأ الشيخ الصابوني تعليمه على يد والده، فتعلم منه العربية، والفرائض، وعلوم الدين، وكان للشيخ دراسة على كبار علماء سوريا منذ نعومة أظفاره، فهو قد نشأ محبا للعلم، راغبا في تلقيه على الشيوخ الأجلاء كأمثال فضيلة الشيخ محمد نجيب سراج، عالم الشهباء، وفضيلة الشيخ أحمد الشماع، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ راغب الطباخ، والشيخ محمد خياطة (شيخ القراء)، وغيرهم ممن تتلمذ على أيديهم الشيخ الصابوني.

وبما أن الشيخ الصابوني محب للعلم، فكان يرافق ويلازم والده دائما، فأثر ذلك على تحصيله العلمي، لأن مجالس والده كانت كلها مجالس علم وتدريس.

[1] محمد علي أيازي، *المفسرون حياتهم ومنهجهم*، وزير الثقافة والإرشاد الإسلامية، (1414هـ-1993م)، ص. 407.

أضف إلى ذلك أن والده رحمه الله كان يتابع تدريس الشيخ الصابوني طيلة الوقت حتى في المنزل بعد المدرسة، وقد كان والده من كبار العلماء وخاصة في علم المواريث واللغة العربية والعروض، وهي العلوم التي أخذها الشيخ عن والده رحمه الله.

ومما يذكر عن إخوة الشيخ الصابوني: نهم جميعا وعلى اختلاف مستوياتهم التعليمية، يجيدون علم المواريث، والعروض، واللغة العربية، نحوا وبلاغة، كل ذلك نتيجة تدريس والدهم لهم ومتابعته الدائمة.

بدأ الصابوني حفظ القرآن الكريم وهو في الكتاب، وأكمل حفظه وهو في المرحلة الثانوية، هذا بالإضافة لدراسته للعديد من العلوم التي تلقاها على يد كبار العلماء بسوريا والتى كانت تشتهر بعلمائها الكبار.

تلقى الشيخ الصابوني الدراسة النظامية في المدارس الحكومية، ولما حصل على الإبتدائية انتسب إلى إعداد التجارة وثانويتها، فدرس فيها سنة واحدة، ولما لم توافق الدراسة فيها ميوله العلمى– لأنهم كانوا يعلمون الطلاب أصول المعاملات الربوية التي تجري في البنوك– هجر الإعدادية التجارية، مع أن ترتيبه فيها كان الأول على زملائه.

انتقل الشيخ بعدها إلى الثانوية الشرعية، التي كانت تسمى (الخروسة) في مدينة حلب الشهباء، وكانت دراسته تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية التي كانت تدرس في مدارس وزارة المعارف، ففيها المواد الشرعية كلها (من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والفرائض...، وغيرها)، إلى جانب (الكيمياء، والفيزياء، والجبر، والهندسة، والتاريخ، والجغرافيا، واللغة الإنجليزية...، وغيرها)، فكانت دراسته جامعة بين العلوم الشرعية، والدراسة العصرية.

بعد أن تخرج الشيخ الصابوني في الثانوية الشرعية بحلب، بعث إلى الأزهر الشريف بالقاهرة على نفقة وزارة الأوقاف، فحصل على شهادة كلية الشريعة بتفوق عام (1952م)، ثم أتم شهادة التخصص فتخرج عام (1954م) من الأزهر بشهادة (العالمية وتخصص القضاء الشرعي)، وكانت هذه الشهادة أعلى الشهادة العلمية في ذلك العصر، وقد نالها بتفوق وامتياز.

رجع الشيخ بعد دراسته في مصر إلى بلده سوريا، فعين أستاذا لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب، ودور المعلمين، وبقي في التدريس ثماني سنوات، منذ عام (1955م) إلى عام (1963م).

بعد ذلك أرسل الشيخ إلى المملكة العربية السعودية أستاذا معارا من وزارة التربية والتعليم في سوريا، للتعليم في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وقد صارت الكليات جزءا من جامعة أم القرى بعد ذلك، فدرس في الجامعة مدة تزيد عن عشرين عاما، وتخرج على يديه العديد من أساتذة الجامعة.

ونظرا لنشاط الشيخ العلمي في البحث والتأليف، فقد رأت جامعة أم القرى أن تسند إليه تحقيق بعض كتب التراث الإسلامي، فعين باحثا علميا في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، واشتغل بتحقيق كتاب عظيم في التفسير يسمى (معاني القرآن الكريم) للإمام أبي جعفر النحاس المتوفى سنة (338هـ)، والمخطوطة نسخة وحيدة في العالم لايوجد لها ثانية، فقام بتحقيقها، مستعينا بالمراجع الكثيرة بين يديه من كتب التفسير، واللغة، والحديث، وغيرها، وقد خرج الكتاب في (ستة أجزاء)، طبع باسم جامعة أم القرى بمكة المكرمة مركز إحياء التراث الإسلامي.

ومازالت جهود الشيخ العلمية ملموسة من خلال العديد من الطلاب الذين درسوا على يديه، ومن خلال مؤلفاته الغنية التي أثرى بها المكتبة الإسلامية، كما كان له جهد واضح في تحقيق العديد من الكتب وإخراجها إلى الناس.

تفرغ بعد ذلك الشيخ الصابوني للتأليف والبحث العلمي، فقام بتأليف العديد من الكتب في عدد من العلوم الشرعية والعربية، وقد تم ترجمة مؤلفته لعدد من اللغات الأجنبية، مثل : (الإنجليزية، والفرنسية، والتركية وغيرها).

ولا يزال الشيخ الصابوني أطال الله عمره، وأحسن عمله إلى الآن في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، بعد أن أمضى فيها (ثمان وعشرين سنة)، مابين التدريس والتأليف.[2]

وفي هذا المقام، فإني أسطر أبيات شعر على البحر الوافر، لتكون عنوانا مني على وافر حبي وتقديري لهذا العلم الإمام، الزاهد الصابر، التقي النقي، فأقول :

بلاد الشام فيك الشيخ شامة ونجم في الدجى هدي علامة

دعا في الله لا يخشى الملامة ولم يخضع لغير الله هامة

رأيت الشيخ معطاء كريما سموح الملتقى ربي أدامه

عزيز النفس نال العز دينا على نهج التقي علما أقامه

حباه الله تفسير الكتاب ليرقى في العلى بيت الكرامة

هنيئا من أتى بحرا طهورا عميم الخير من درر الأمة

عن الإسلام يجزيه الإله شفيعا نلتقي يوم القيامة

[2] عصام أحمد عرسان شحادة، *رسالة ماجستير*، (1434هـ- 2013م) ، ص 10.

ب. المبحث الثاني : شيوخ الصابوني وتلاميذه

لقد تلقى الشيخ الصابوني على عدد كبير من العلما:

أ. شيوخ الصابوني

فمنهم من حفظ القرآن على يديه، ومنهم من أخذ عنه التفسير، ومنهم من علمه الحديث، ومنهم من تفقه على يديه...، إلا أن الشيخ قد تأثر أكثر ماتأثر بخمسة منهم، هم :

1. فضيلة الشيخ: محمد نجيب سراج (عالم الشهباء- درس على يديه التفسير والحديث).
2. فضيلة الشيخ: أحمد الشماع (درس على يديه الفقه الحنفي في الحسروية).
3. فضيلة الشيخ: محمد سعيد الإدلبي (أكبر شيوخه).
4. فضيلة الشيخ: محمد راغب الطباخ (شيخه في التاريخ).
5. فضيلة الشيخ: محمد نجيب خياطة (شيخ القراء- درس عليه القرآن حفظا، وتفقه على يديه).
6. الشيخ: إبراهيم الترمانيني، حضر عليه.
7. الشيخ: أحمد القلاش، درس عليه دروس في علوم مختلفة.
8. الشيخ: أمين الله عيروض، درس عليه علم الخطابة.
9. الشيخ: عبد الجواد عطار، تعلم على يديه تلاوة القرآن الكريم.
10. الشيخ: عبد الفاتح أبو غدة، حضر له دروس من كتاب الأم للشافعي.
11. الشيخ: عبد القادر عيسى، حضر عنده دروسا في التصوف.
12. الشيخ: عبد الله حماد، درس عليه النحو.

13. الشيخ: عبد الله سراج الدين، أستاذ في الحديث وعلومه.

14. الشيخ: عبد الله سلطان (الحفيد) كان مديرا للمدرسة الشرعية التي درس فيها الشيخ.

15. الشيخ: عبد الوهاب سكر، درس عليه الأدب في الثانوية الشرعية.

16. الشيخ: محمد الحكيم، درس عليه البلاغة والأدب في الثانوية الشرعية.

17. الشيخ: محمد الحماد، درس عليه في الثانوية الشرعية.

18. الشيخ: محمد النبهان، درس عليه علم التصوف.

19. الشيخ: محمد إبراهيم السلقيني، شيخه الذي كان يدرس عليه العلوم الشرعية.

20. الشيخ: محمد أبو الخير زين العابدين، شيخه في التفسير.

21. الشيخ: محمد أبو النصر الحمصي، حضر عنده دروسا عامة.

22. الشيخ: محمد أسعد عجبي، درس عليه النحو والبلاغة في الثانوية الشرعية.

23. الشيخ: محمد بلنكو، أستاذه في الفقه.

24. الأستاذ: محمد صبحي الريحاوي، درس عليه اللغة الإنجليزية.

ب. تلاميذ الشيخ

تلاميذ الشيخ لايمكن حصرهم أو التنبؤ بعددهم، نظرا لكثرة دروس الشيخ التعليمية، ولكثرة تطوافه في البلدان يدرس فيها العلم، ونظرا لكثرة الذين يحضرون هذه الدروس، حتى إن الشيخ الصابوني أن له في إندونيسيا أكثر من ألف تلميذ تتلمذوا على يديه لمدة تتراوح ما بين أربع إلى عشر سنوات، إلا أن الشيخ الصابوني ذكر نماذج من بعض تلاميذه، الذين صار لهم بعد ذلك شأن هام في بلادهم ومجتمعهم، ومن تلاميذه:

1. الدكتور صالح بن حميد: إمام الحرم المكي، ورئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، درسه الشيخ أثناء تدريسه في الحرم المكي.
2. الدكتور أحمد الحميد: الدكتور بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.
3. الدكتور راشد الراجح: مدير جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.
4. الدكتور أسامة الخياط: إمام المسجد الحرام.
5. الشيخ سيد محمد علوي المالكي: درسه في الجامعة.
6. أحمد محمد علي الصابوني: إبن الشيخ، وملازمه في كل أموره، وهو المنسق العام لكل أعمل الشيخ، وقد حصل على شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية وخضر كل دروس والده.[3]

ج. المبحث الثالث: مؤلفاته

للشيخ مؤلفات عديدة في شتى العلوم الشرعية والعربية ألفها في مشواره العلمي الطويل فكانت من أهم الكتب في مجالاتها ولاقت قبولا وانتشارا واسعا بين الطلاب في شتى أنحاء العالم الإسلامي وترجم العديد منها إلى لغات مختلفة كالتركية والإنجليزية والفرنسية والملاوية والهوساوية وغيرها من لغات العالم الإسلامي، وقد ألف بعضها أثناء تدريسه في الجامعة، وبعضها الآخر بعد انتهائه من التدريس، وتفرغه للتأليف، وإلى جانب مؤلفاته، فإن للشيخ نشاطا علميا واسعا فقد كان له درس يومي في المسجد الحرام بمكة المكرمة يقعد فيه للإفتاء في المواسم، كما كان له درس أسبوعي في التفسير في أحد مساجد مدينة جدة امتد مدة تقارب ثماني سنوات، فسر خلالها لطلاب العلم أكثر من ثلثي القرآن الكريم، وهي مسجلة على أشرطة كاسيت، كما قام الشيخ بتصوير أكثر من ستمائة

[3] عصام أحمد عرسان شحادة، *المرجع السابق*، ص *13*.

حلقة لبرنامج لتفسير القرآن الكريم كاملا ليعرض في التلفاز، وقد استغرق هذا العمل زهاء السنتين، وقد أتمه حفظه الله نهاية عام 1419هـ.

ومن مؤلفات الشيخ الصابوني:

1. صفوة التفاسير. بيروت: دار القرآن الكريم، ثلاثة مجلدات، 1837 صفحة.
2. المواريث في الشريعة الإسلامية. بيروت: دار الجليل، مجلد واحد، 215 صفحة.
3. روائع البيان في تفسير آيات الأحكام. مكتبة الغزالي-مؤسسة مناهل العرفان، 1400هـ، مجلدان، 1264 صفحة.
4. من كنوز السنة. مجلد واحد، 208 صفحة.
5. قبس من نور القرآن الكريم. ثمانية مجلدات، 3794 صفحة.
6. السنة النبوية قسم من الوحي الإلهي المنزل. غلاف، 200 صفحة.
7. موسوعة الفقه الشرعي الميسر(سلسلة التفقه في الدين). ثمانية مجلدات، 1830 صفحة.
8. الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة. مجلد واحد، 246 صفحة.
9. التفسير الواضح الميسر. مجلد واحد، 1600 صفحة.
10. الهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح. غلاف، 144 صفحة.
11. إيجاز البيان في سور القرآن. مجلد واحد، 325 صفحة.
12. موقف الشريعة الغراء من نكاح المتعة. غلاف، 72 صفحة.
13. حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن، غلاف، 92 صفحة.
14. التبيا في علوم القرآن. مجلد واحد، 315 صفحة.

15. عقيدة أهل السنة في ميزان الشرع. غلاف، 50 صفحة.

16. النبوة ولأنبياء. مجلد واحد، 432 صفحة.

17. رسالة الصلاة. غلاف، 40 صفحة.

18. المهدي وأشراط الساعة. غلاف، 44 صفحة.

19. المقتطف من عيون الشعر. غلاف، 158 صفحة.

20. كشف الأقترءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير. غلاف، 190.

21. درة التفاسير(على هامش المصحف). مجلد واحد، 604 صفحة.

22. جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية. غلاف، 104 صفحة.

23. التبصير بما في رسائل بكر أبو زيد من التزوير. غلاف، 108 صفحة.

24. شرح رياض الصالحين. مجلد واحد، 784 صفحة

25. شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول. غلاف، 25 صفحة.

26. رسالة في حكم التصوير. غلاف، 45 صفحة.

27. معاني القرآن (للنحاس). ستة مجلدات، 3214 صفحة، دراسة وتحقيق.

28. المقتطف من عيون التفاسر (للمنصوري). خمسة مجلدات، 2926 صفحة، دراسة وتحقيق.

29. مختصر تفسير ابن كثير. ثلاثة مجلدات، 2051 صفحة، اختصار وتحقيق.

30. مختصر تفسير الطبري. مجلدان، 1058 صفحة، اختصار وتحقيق.

31. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (للبروسوي). أربعة مجلدات، 2364 صفحة، دراسة وتحقيق.

32. المنتقي المختار من كتاب الأذكار (للنووي) مجلد واحد، 411 صفحة، اختصار وتحقيق.

33. فتح الرحمن بكشف مايلتبس في القرآن (للأنصاري). مجلد واحد، 638 صفحة، دراسة وتحقيق.

34. تفسير الدعوات المباركات (للآيديني). غلاف، 143 صفحة، دراسة وتحقيق.

35. نكاح المتعة في الإسلام حرام (للحامد). غلاف، 100 صفحة، دراسة وتحقيق.

36. آمنت بالله (الإيمان بالله أساس عقيدة التوحيد). مجلد، 350 صفحة.

37. صفحات مشرقة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام. مجلد، 384 صفحة.

38. الإبداع البياني في القرآن الكريم. مجلد، 464 صفحة.[4]

د. المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه

قال الأستاذ محمد حسين زيدان: أني قد سخّرت لأكرم هذا العالم الكبير، لم أسخّر من أحد، وإنما أسخّرت نفسي لتكريمه، لم اسمع صوته، ولكني عرفت صيته، وذلك لأني أن لم أره رؤية البصر فقد رأيته رؤية البصيرة، كيف لا أتكلم عن عالم وأشكر هذا العالم وقد احتوته مكة، وحضنته مكة، وأيما إنسان سواء أكان عالماً أو طالب علم أو من عمّار المسجد بالصلاة حضنته مكة أو احتوته، واسترضته المدينة فلابد لنا أن نكرمه معتقدين فيه الخير فلولا أن كان خيّرا ورجلاً نظيف القصد لما احتضنته مكة أو استرضته المدينة المنورة مثلاً.

[4] رابطة العلماء السوريين، *بشائر الإسلام*، (1431هـ)، السورية: مجزرة العصر الغحتباس الحراري، ص. 13.

ومن العجيب أن الحديث عن المدينة كأنما هوجمع للتكريم لأخيه شاعر طيبة، وما علي إذا كرمت الأخ العالم أن أكرم معه الأخ الشاعر فالموضوع كله موضوع مكة المكرمة والمدينة المنورة.

الأستاذ الصابوني لم أره بالبصر ولكني رأيته بالبصيرة وهو الآن بجانبي عرفته أكثر، وتعرفت عليه أكثر. من مكارم الأخلاق في هذا الإسلام أن يحترم طالب العلم أستاذ العلم، ولعلي كطالب علم أستأهل هذه الكرامة من هذا الدين حين أحترم أستاذ العلم الأستاذ الصابوني، كما احترمت غيره، وكذلك أحترم بجانبي ابن الخوجة هذا العالم أيضا.[5]

ومن كلمة الشيخ أحمد محمد جمال فقال : العلماء فريقان فريق تعلم ليعلم كالشجرة تنبت لتثمر، وفريق حفظ العلم في صدره ولم يجد به على غيره أو لم يقف موقف العالم الناصح فيما تعلمه بين الكبراء والسادة. الشيخ محمد علي الصابوني من الفريق الأول فريق العلماء المثمرين المنتجين، فريق العلماء الجرئين الثابتين على مبادئهم لايبالون بمن خالفهم أو بمن عارضهم، وكما أشار الدكتور محمد عبده يماني إلى أنه لقي عنتا عظيما وصبر على هذا العنت. الواقع أن هذا الصبر على العنت من شأن العلماء الصلحاء الثابتين على مبادئهم الذين يمثلون قول القاضي الجرجاني عندما حاول بعض الناس أو ظن هو أنهم يساومون في علمه.

المهم أن فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني من فريق العلماء الأجرياء في الحق الصابرين على ما يلقي في سبيل هذا العلم من متاعب ومصاعب، وهذا شأن العالم المؤمن الذي لايبالي بما يلقي في سبيل علمه وتعليمه وهو كما أسلفت عالم مثمر نشط ونشاطا طويلا مديدا في تأليف الكتب العلمية وفي إلقاء المحاضرات وفي المشاركة في الندوات والأحاديث في الإذاعة وفي التلفاز ودورات ومؤتمرات

[5]لجنة حفلة التكريم، *الأثنينية حفلة التكريم فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني*، السورية: جامعة دمشق، (1410هـ) ، ص. 6.

رابطة العالم الإسلامي وقد زاملته في بعضها في بعض دول آسيا وأفريقيا، فالأستاذ الصابوني يستحق هذا التكريم وفوق هذا التكريم لأنه من العلماء النادرين.[6]

قال فضيلة الشيخ عبد الله الخيَّاط خطيب المسجد الحرام، والمستشار بوازرة المعارف السعودية في مقدمة تفسير روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، أن فضيلة الشيخ الصابوني غنيّ عن التعريف لنشاطه البارز في حقل العلم والمعرفة، فهو ينتهز الفرصة، ويسابق الزمن في إخراج كتب علمية هادية، هادفة، نافعة، هي نتيجة الدراسات الطويلة والبحث والاستقصاء كان من بينها كتابه الذي نقدّمه اليوم لطلاب العلم، بل وللعلماء أيضا وهو في مجلدين ضخمين هما من خير ما ألف في هذا الباب على ما أرى، ذلك لأنهما جمعا بين التأليف القديم من حيث غزارة المادة وخصب الفكرة، وبين التأليف الجديد من حيث العرضُ، والتنسيقُ، وسهولة الأسلوب.[7]

[6] لجنة حفلة التكريم، المرجع السابق ، ص 16.

[7] محمد علي الصابوني، *روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن*، القاهرة: دار الصابوني، (1428هـ-2007م)، ص. 4.